الفصل السادس

مسك الختام في الأدب نحو النبي عليه الصلاة والسلام

١- لما كان النبي @ رحمة الله للعالمين، ومنة الله على المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] فهو @ أرحم بالناس من آبائهم وأمهاتهم؛ إذ يهديهم للحق، ويأمرهم بالخير، ويأخذ بأيديهم إلى جنة عرضها السموات والأرض، وهو الذي صحح المفاهيم المغلوطة وأرسى القيم المحمودة.

٢- إن هذه المنزلة العظيمة لرسول الله؛ تفرض على المسلمين آدابًا كثيرة نحوه @ وفي هذا الفصل نعرف معًا بواعث هذا الأدب ومظاهره وأقسامه.

- إن بواعث الأدب مع النبي @ متعددة وكثيرة منها:

١- أن الأدب معه @ من لوازم الإيمان به ومحبته،وفي هذا المعنى قال ابن تيمية -رحمه الله-: إن قيام المدح والثناء عليه والتعظيم والتوقير له قيام الدين كله، وسقوط ذلك سقوط الدين كله[١].

٢- أنه من طاعة الله ومحبته وتعظيمه، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وفي هذا المعنى قال ابن القيم -رحمه الله-: وكل محبة وتعظيم للبشر فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله @ وتعظيمه فإنها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله تعالى له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله تعالى له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله[٢].

٣- ورود الأوامر الإلهية ببيان ذلك في آيات ذوات عدد، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۚ ﴾ [الحشر: ٧]، ويقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) انظر: الصارم المسلول (ص٢١١).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (ص١٨٧)، ت/ شعيب وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾ [الحجرات: ٢]، ويقول سبحانه: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ ﴾ [النور: ٦٣]، وقال جل جلاله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

٤- كونه @ أعظم الخلق منّة على الخلق، كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

٥- شدة محبته لأمته وشفقته عليها كما قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ورأس الأدب مع النبي @ لا يكون إلا بمحبة صادقة تستوجب إتباعه في كل ما أمر واجتناب كل ما نهى عنه، واتخاذه @ قدوة في الظاهر والباطن، في السمت والعمل، في الخلق والمعاملة.

قال ابن القيم -رحمه الله-: وأما الأدب مع الرسول فالقرآن مملوء به، فرأس الأدب معه كمال التسليم له والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، فيوحده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان كما وحد المرسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسِل جل جلاله، وتوحيد متابعة الرسول @.

أما عن أدب الصحابة مع النبي @ فلقد كان لهم في ذلك الحظ الأوفر، فقد كانوا معه على أعلى رتب الأدب؛ يوقرونه ويعظمونه ويهابونه ويحبونه حبًا ما أحبه بشرٌ لبشر، وقد شهد بذلك كل من رآهم أو سمع بهم ش.

-وهذا عروة بن مسعود الثقفي لما جاء النبي @ عند الحديبية ورأى أدب الصحابة مع الرسول الكريم @ وتعظيمهم وتوقيرهم له، رجع إلى قريش فقال

لهم: أَيْ قَوْمِ وَالله لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْـمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَالله إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ؛ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ @ مُحَمَّدًا، وَالله إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَكَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ. [البخاري (٢٧٣١) عن المسور بن مخرمة ومروان ب]

وإليك أمثلة أخرى من أدب الصحابة ش مع رسول الله @:

١- ثبت في صحيح مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَـمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَـٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات: ٢] جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ فِي بَيْتِهِ وَقَالَ: أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ! وَاحْتَبَسَ عَنْ النَّبِيِّ @ فَسَأَلَ النَّبِيُّ @ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَبَا عَمْرٍو مَا شَأْنُ ثَابِتٍ اشْتَكَى؟» قَالَ سَعْدٌ: إِنَّهُ لَـجَارِي، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ بِشَكْوَى، قَالَ: فَأَتَاهُ سَعْدٌ فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ الله @، فَقَالَ ثَابِتٌ: أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتًا عَلَى رَسُولِ الله @ فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ! فَذَكَرَ ذَلِكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ @ فَقَالَ رَسُولُ الله @: «**بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْـجَنَّةِ**».[رواه البخاري (٣٦١٣، ٤٨٤٦) ومسلم (١١٩)]

٣- روى مسلم عن رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله @ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: «**سَلْ**» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْـجَنَّةِ، قَالَ: «**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ**» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**».[مسلم (٤٨٩).] وفي هذا الحديث حسن التأدب مع النبي @ بالسعي في خدمته، وفيه أيضًا صدق المحبة لرسول الله @ بطلبه مرافقته في الجنة وعدم العدول عن ذلك.

٤- ثبت في صحيح مسلم أن عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ ﷺ قال: وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله @ وَلا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلالاً لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ.[مسلم (١٢١).]

إن الأدب مع رسول الله @ له ثلاثة أقسام هي:

١- **أدب قلبي**: وهو يتعلق بتصديقه والإيمان به @ وحبه وتعظيمه وتوقيره.

٢- **أدب قولي**: وهو ما يتعلق بالصلاة عليه @، والذب عن سنته، ورعاية الأدب معه بالقول.

٣- **أدب فعلي**: وهو يتعلق بحسن إتباعه @ فيما أمر ونهى مع اتخاذه قدوة وأسوة.

أولاً: الأدب القلبي:

وهو رأس جميع الآداب معه @، وأصله الإيمان به وتصديقه @ في كل ما جاء به عن الله تعالى، ومطابقة ذلك باللسان بأن يشهد أن محمدًا رسول الله @، قال ابن تيمية -رحمه الله-: فلا يكون الرجل مؤمنًا حتى يقر بما جاء به النبي @ وهو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فمن شهد أنه رسول الله شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى، فإن هذا حقيقة الشهادة بالرسالة[1]. اهـ

قال ابن القيم -رحمه الله-: والإيمان حقيقة مركبة من معرفة ما جاء به الرسول @ علمًا، والتصديق به عقدًا (أي: ينعقد عليه القلب)، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبة وخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان؛ وكماله في الحب في الله والبغض في الله والعطاء لله والمنع لله، وأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده؛ والطريق إليه تجريد متابعة رسوله ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين

---

(١) انظر: القاعدة المراكشية (ص٢٤، ٢٥).

القلب عن الالتفات إلى سوى الله ورسوله، وبالله التوفيق[١].

ومن الأدب القلبي محبته @: وإنما يظهر آثارها بالطاعة والإتباع، فهذه هي العلامات التي تدل على ما في قلب العبد من محبة، ومحبة النبي @ من الإيمان، بل لا يتم الإيمان حقيقة إلا إذا كان النبي @ أحب إلى المرء من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين، فقد روى أحمد والبخاري عن عَبْدَ الله بْنَ هِشَامٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ @ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ @: «**لا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ**» فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإِنَّهُ الآنَ وَالله لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَال النَّبِيُّ @: «**الآنَ يَا عُمَرُ**» [أحمد (٥/ ٢٩٣)، والبخاري (٦٦٣٢)] وفي الصحيحين عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله @: «**لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[٢].

قال ابن رجب -رحمه الله-: فلا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يقدم محبة الرسول على محبة جميع الخلق، ومحبة الرسول تابعة لمحبة مرسله، والمحبة الصحيحة تقتضي المتابعة والموافقة في حب المحبوبات وبغض المكروهات، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١]. قال الحسن -رحمه الله-: قال أصحاب النبي @: يا رسول الله إنا نحب ربنا حبًا شديدًا، فأحب الله أن يجعل لحبه علمًا فأنزل الله هذه الآية.

---

(١) انظر: الفوائد (ص١٠٧).

(٢) البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وفي الصحيحين عَنِ النَّبِيِّ @ قَالَ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاوَةَ الإِيْمَانِ أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْـمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلا لله وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». [البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣) عن أنس ﷺ] فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه؛ أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله، ويرضى ما يرضى الله ورسوله ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض؛ والمعاصي إنما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ورسوله ومحبة ما يحبه، وكذلك حب الأشخاص الواجب فيه أن يكون تبعًا لما جاء به الرسول @، فيجب على المؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين عمومًا، ولهذا كان من علامات وجوده حلاوة الإيمان؛ أن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وتحريم موالاة أعداء الله ومن يكرهه الله عمومًا، وبهذا يكون الدين كله لله، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطي لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان، ومن كان حبه وبغضه وعطاؤه ومنعه لهوى نفسه؛ كان ذلك نقصًا في إيمانه الواجب، فيجب عليه التوبة من ذلك والرجوع إلى ما جاء به الرسول @ من تقديم محبة الله ورسوله، وما فيه رضا الله ورسوله على هوى النفس ومراداتها كلها[1].

ثانيًا: الأدب القولي:

قال ابن القيم -رحمه الله- وهو يوضح هذا الأدب: من الأدب مع الرسول @ أن لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهي ولا إذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١] وهذا باق إلى يوم القيامة ولم ينسخ، فالتقدم بين يدي سنته بعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذي عقل سليم؛ قال مجاهد -رحمه الله-:

---

(١) انظر جامع العلوم والحكم (ص٣٨٩، ٣٩٠) باختصار.

لا تفتاتوا على رسول الله @.[ذكره البخاري في ترجمة باب تفسير سورة الحجرات تعليقًا، وقال الحافظ في الفتح (٨/ ٥٨٩) وصله عبد بن حميد]

ومن الأدب معه @ أن لا ترفع الأصوات فوق صوته، فإنه سبب لحبوط الأعمال، فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به، أترى ذلك موجبًا لقبول الأعمال ورفع الصوت فوق صوته موجبًا لحبوطها؟!

ومن الأدب معه @ أن لا يجعل دعاءه كدعاء غيره، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣] وفيه قولان للمفسرين:

أحدهما: أنكم لا تدعونه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا، بل قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله؛ فعلى هذا المصدر مضاف إلى المفعول، أي: دعاءكم الرسول.

الثاني: أن المعنى لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضًا إن شاء أجاب وإن شاء ترك، بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من إجابته، ولم يسعكم التخلف عنها البتة؛ فعلى هذا المصدر مضاف إلى الفاعل، أي دعاؤه إياكم.

ومن الأدب معه @؛ أنهم إذا كانوا معه على أمر جامع من خطبة أو جهاد أو رباط؛ لم يذهب أحد منهم مذهبًا في حاجته حتى يستأذنه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ [النور: ٦٢] فإذا كان هذا مذهبًا مقيدًا بحاجة عارضة لم يوسع لهم فيه إلا بإذنه، فكيف بمذهب مطلق في تفاصيل الدين: أصوله وفروعه دقيقه وجليله، هل يشرع الذهاب إليه بدون استئذانه؟! ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣].

ومن الأدب القولي مع النبي كثرة الصلاة عليه @:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، قال ابن كثير -رحمه الله-: المقصود من هذه الآية؛ أن الله سبحانه وتعالى أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى؛ بأنه يثني عليه

عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي[١].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: والمعنى أنه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله، فصلوا أنتم عليه؛ فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته، ويمن سفارته من شرف الدنيا والآخرة[٢].

أما عن حكم الصلاة على النبي @ فقد ذهب طائفة من العلماء منهم: الطحاوي والحليمي إلى وجوب الصلاة على النبي @، واستدلوا بظاهر الأمر في الآية المتقدمة؛ فالأمر للوجوب، واستدلوا أيضًا ببعض الأحاديث الواردة منها: ما رواه البخاري في الأدب والترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا وفيه: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**».[البخاري في الأدب (٦٤٦)، والترمذي (٣٥٤٥) وحسنه]

وذهب آخرون إلى أنه تجب الصلاة عليه في المجلس مرة واحدة، ثم لا تجب في بقية ذلك المجلس بل تستحب، وقال البعض: إنه إنما تجب الصلاة عليه @ في العمر مرة واحدة امتثالاً لأمر الآية، ثم هي مستحبة في كل حال، وهو قول الحنفية حكاه الجصاص عنهم في أحكام القرآن[٣].

للصلاة على النبي @ فضل عظيم، وذلك لفضل المصّلَى عليه @ ومكانته عند الله تعالى، وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- في «جلاء الأفهام» تسعًا وثلاثين فائدة[٤] نكتفي منها بواحدة، وهي أن مَنْ صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرًا، فقد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥٠٨).

(٢) انظر: جلاء الأفهام (ص١٦١، ١٦٢).

(٣) أحكام القرآن عند تفسير الآية (٥٦) من سورة الأحزاب.

(٤) انظر: جلاء الأفهام (٤٤٥: ٤٥٤).

روى مسلم رحمه الله عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ @ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**».[مسلم (٤٠٨)]

أما عن الأدب العملي وهو ما يتعلق بعمل الجوارح، فمن الأدب مع النبي @ أن تنطلق الجوارح تبعًا لما جاء به، وهذا هو الدليل العملي على المحبة واعلم - رحمني الله وإياك- أن طاعة رسول الله @ واجبة أوجبها الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، وجعل الهداية والرحمة في طاعته @ فقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ ﴾ [النور: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: ٥٦]. فطاعة النبي @ لا خيار للمسلم فيها؛ لأن مخالفة ذلك ضلال واضح، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

- إن الاقتداء به @ أمر أوجبه الله تعالى قال عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]، قال ابن كثير -رحمه الله-: هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله @ في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي @ في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته، ولهذا قال تعالى للذين تضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله @، ولهذا قال تعالى: ﴿ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ اهـ.

واعلم أنه لا يَخْلُو حَالُ النَّاسِ فِيمَا أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْهُ، مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ

وَاجْتِنَابِ الْـمَعَاصِي، مِنْ أَرْبَعَةِ أَحْوَالٍ:

١- فَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَجِيبُ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيَكُفُّ عَنْ ارْتِكَابِ الْـمَعَاصِي. وَهَذَا أَكْمَلُ أَحْوَالِ أَهْلِ الدِّيْنِ، وَأَفْضَلُ صِفَاتِ الْمُتَّقِينَ. فَهَذَا يَسْتَحِقُّ جَزَاءَ الْعَامِلِينَ، وَثَوَابَ الْمُطِيعِينَ.

٢- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَنِعُ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَيُقْدِمُ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي، وَهِيَ أَخْبَثُ أَحْوَالِ الْمُكَلَّفِينَ. فَهَذَا يَسْتَحِقُّ عَذَابَ اللاهِي[١] عَنْ فِعْلِ مَا أُمِرَ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ، وَعَذَابَ الْمُجْتَرِئِ عَلَى مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ مِنْ مَعَاصِيهِ. وَقَدْ قَالَ ابْنُ شُبْرُمَةَ: عَجِبْت لِمَنْ يَحْتَمِي مِنْ الطَّيِّبَاتِ مَخَافَةَ الدَّاءِ، كَيْفَ لا يَحْتَمِي مِنْ الْمَعَاصِي مَخَافَةَ النَّارِ[٢].

٣- وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَجِيبُ إِلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَيُقْدِمُ عَلَى ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي؛ فَهَذَا يَسْتَحِقُّ عَذَابَ الْمُجْتَرِئِ؛ لأَنَّهُ تَوَرَّطَ بِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ عَلَى الإِقْدَامِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَإِنْ سَلِمَ مِنْ التَّقْصِيرِ فِي فِعْلِ الطَّاعَةِ. وَلِذَلِكَ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَفْضَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ تُفْسِدْ الشَّهْوَةُ دِينَهُ، وَلَمْ تُؤَثِّرْ الشُّبْهَةُ فِي يَقِينِهِ.

٤- وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْتَنِعُ مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ، وَيَكُفُّ عَنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي فَهَذَا يَسْتَحِقُّ عَذَابَ اللَّاهِي عَنْ دِينِهِ، الْمُنْذَرِ بِقِلَّةِ يَقِينِهِ[٣].

إن مظاهر المتابعة الصادقة للرسول كثيرة منها

١- **تعظيم النصوص الشرعية**: وإجلالها وتقديمها على ما سواها وعدم هجرها، وعدم تقديم غيرها عليها، واعتقاد أن الهدى فيها لا في غيرها، وتعلمها وحفظها وفهمها وتدبرها والعمل بها والتحاكم إليها وعدم معارضتها، وهذا من أبرز مظاهر الاتباع، وقد مر بك ما كان يفعله السلف مع حديث رسول الله @.

---

(١) اللاهي أي: المنشغل.

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٨).

(٣) انظر: أدب الدنيا والدينا للماوردي (ص١٠٣-١٠٥).

٢- الاقتداء بالنبي @ ظاهرًا وباطنًا: وهو أن يجرد العبد متابعته لرسول الله @ ويكتفي بالتلقي والأخذ عنه، والعمل بما جاء به؛ قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١]. فلا اعتقاد ولا عبادة ولا معاملة ولا خلق ولا أدب ولا نظام اجتماعي ولا اقتصادي ولا سياسي... إلخ، إلا عن طريقه، وعلى وفق ما جاء به من أحكام وتعاليم، بحيث تكون شريعته هي المهيمنة[(١)].

قال ابن القيم -رحمه الله- في كلام له على قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦]: وهو دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، وهذه الأولوية تتضمن أمورًا منها: أن يكون أحب إلى العبد من نفسه لأن الأولوية أصلها الحب، ونفس العبد أحب له من غيره، ومع هذا يجب أن يكون الرسول أولى به منها، وأحب إليه منها، فبذلك يحصل له اسم الإيمان. ويلزم من هذه الأولوية والمحبة كمال الانقياد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه. ومنها أن لا يكون للعبد حكم على نفسه أصلاً، بل الحكم على نفسه للرسول @ يحكم عليها أعظم من حكم السيد على عبده أو الوالد على ولده، فليس له في نفسه تصرف قط إلا ما تصرف فيه الرسول @ الذي هو أولى به منها[(٢)].

٣- تحكيم الشرع والتحاكم له: هذه هي السمة الفارقة بين الحريص على اتباع الحق وبين من اتبع هواه بغير هدى من الله، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ

---

(١) انظر: اتباع النبي ﷺ في ضوء الوحيين ضمن كتاب المنتدى «حقوق النبي بين الإجلال والإخلال» (ص١١٧).

(٢) انظر: زاد المهاجر إلى ربه (ص٢٩-٣٠).

وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، ومقتضى ذلك أن يحكم ما جاء به الرسول @ في الكتاب والسنة ويتحاكم إليهما ثم يرضى بحكمهما؛ فيجعل ذلك هو الميزان الذي يزن به الاعتقادات والأقوال والأفعال والتروك، فما وافقهما قبله وعمل بما فيه، وما خالفهما رده وإن جاء به من جاء.

أخي القارئ... بعد هذا العرض الموجز للأدب مع رسول الله @ سل نفسك هذا السؤال:

أين أنت أيها المسلم من التأدب مع النبي @ قلبًا وقولاً وفعلًا؟

يـا مـسلمًا تـدعي الإسـلام مجانـا هـلا أقمـت عـلى دعـواك برهانـا

جعلني الله وإياك ممن يقتدي برسوله @ ظاهرًا وباطنًا، وممن يحشر معه @ في جنات النعيم.

وصلى الله وسلم وبارك على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١. صحيح البخاري: دار ابن كثير، اليمامة-بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة-جامعة دمشق.

٢. صحيح مسلم : تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٣. سنن الترمذي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: ٥.

٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم الأصفهاني (ت ٤٣٠هـ)، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

٥. سنن أبي داود (ت ٢٧٥هـ)، مراجعة: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٦. سنن ابن ماجه القزويني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر-بيروت.

٧. سنن الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة - بيروت ، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

٨. سنن البيهقي الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز-مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٩. سير أعلام النبلاء: للذهبي أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: الشيخ شعيب الأرنئوط، مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٠. سنن النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية-حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

١١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: للهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، دار الفكر-بيروت، ١٤١٢هـ.

١٢. المستدرك للحاكم (ت ٤٠٥هـ)، وبذيله تلخيص المستدرك للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت.

١٣. مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، مذيلة بأحكام شعيب الأرنئوط عليها، مؤسسة قرطبة-القاهرة.

١٤. مسند أبي بكر البزار (ت ٢٩٢هـ)، وهو المسمى بـ«البحر الزخار»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم-المدينة المنورة، طبعة ١٢٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٥. المعجم الأوسط للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين-القاهرة، ١٤١٥هـ.

١٦. المعجم الكبير للطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم-الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.

١٧. محمد صلى الله عليه وسلم المثال الأسمى - أحمد ديدات - ترجمة وتعليق: محمد مختار.

١٨. الرحيق المختوم للمباركفوري.

١٩. هذا الحبيب يا محب للجزائري.

٢٠. تفسير الظلال لسيد قطب.

٢١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر : دار الجيل - بيروت، ١٩٧٣، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، عدد الأجزاء : ٤.

٢٢. الفوائد، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣، عدد الأجزاء: ١.

٢٣. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، المؤلف: ابن قيم الجوزية، الناشر: دار العروبة – الكويت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ، عدد الأجزاء : ١

٢٤. الصارم المسلول على شاتم الرسول، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الناشر: دار ابن حزم – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٧، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، عدد الأجزاء : ٣

٢٥. جامع العلوم والحكم، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ، عدد الأجزاء: ١.

٢٦. الأدب مع الرسول الأعظم – ط وزارة الأوقاف.